لأثر الدمع من التأثر ، وبداعبهم ، ويقدم لهم كفاً من الشكولاته ، ثم يعود إلى مخبئه !

إنسانية قد توجد حتى فى الدبابات !

* * *

ورأيت فى هؤلاء الصبية تلميذاً فى شعبة الأطفال من مدرستنا ، وكان صغيراً جداً ما أظنه قد أكمل عامه السابع ، فدعوته فأقبل حتى أخذ بيدى ، وجعل يرفع رأسه إلى يحاول أن يتثبت من وجهى ، فقلت :

— لماذا عملتم هذا العمل يا بابا ؟

— فقال : أخذوا تخفى الباغودى (يريد تخرى البارودى)

— قلت : ومن قال لك ذلك ؟

— قال : أى . وقالت لى هلى يموت بالفصاص يفوح فالجنة (يريد : من يموت بالرصاص يذهب إلى الجنة)

— قلت : وإذا أرجعوا تخرى البارودى ، هل ترضى ؟

— قال : لأ . خلى يفوحوا (يروحوا) هدول كان ما بدناياهم ! (يريد فليذهب هؤلاء أيضاً ، لا نريدهم)

فسكتُّ . فقال :

— أستاذ ، ليش الاسلام مالهم عسكنع (عسكر) ؟

فأصابتنى كلمته فى القلب ، ووجدت كأن شيئاً جاشت به نفسى ، ثم صعد إلى رأسى ، ثم وجدته فى قصبة أنفى ، وآماق عينى ، ودق قلبى دقاً شديداً ، فتجلدت ومسحت عينى ، وحككت أنفى ، وقلت له :

— أنتم يا بابا عسكر الاسلام .

— قال : نحن صغار !

— قلت : ستكبرون يا بابا ، انتم أحسن منا ، نحن لما كنا صغاراً كنا نخاف من البعبع ، ونخشى القط الأسود ، وأنتم تهجمون على الدبابة ، فالمستقبل لكم لا (لهم) ... !

* * *

وبعد ، فلمن هذه الرشاشات ؟ ولمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ؟ ولمن هذه الجنود وهذه الطيارات ؟ إنها لم تصنع شيئاً ، فقتشوا عن شىء أكبر من الموت ، لتفزعوا ... (أطفال دمشق) !...

« ع »

علم غير مفيـــد

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

فى النشرة الأخيرة للجامعة الأمريكية فى بيروت مقال افتتاحى عنوانه « علم الفلك — علم غير مفيـــد » وقد أوحت إلىّ قراءته أن أكتب هذه العجالة فى الفوائد التى جناها الانسان من علم الفلك . ويُلاحظ أن المتعلمين وطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات يختلفون فى نظرهم الى هذا الفرع من المعرفة اختلافاً بيّناً ، فمنهم من يقول بوجوب تدريسه والاعتناء به ، إذ فيه فوائد ومنافع عادت على البشرية بأطيب الثمار ، ولولاه لما شعر الانسان باللذة الروحية شعوره الحالى ، ولبقى نظرنا الى الكون فى نطاق محدود ، وفى محيط ضيق ؛ وفريق آخر يقول بعدم فائدة علم الفلك ، وبأن فى تدريسه إضاعة للوقت فيما ليس فيه غناء ، وأن الأولى لنا أن نهتم بشىء يعود على المدنية بالمتاع والنفع . ولا يقف هذا الفريق عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى الجهر بأن الاعتناء بعلم الفلك وإنفاق الأموال الطائلة على مراصده وآلاته ضرب من الهوس والسخف ؛ ويتساءل هذا الفريق قائلا : ماذا يستفيد الانسان من معرفته أن الأرض كوكب من كواكب أخرى تدور حول الشمس ، وأن لهذا الكوكب تابعاً — القمر — يدور حولها ؟ وهل يزيد فى سعادة البشر ورفاهيتهم إذا عرفوا أن لبعض الكواكب توابع كما للأرض ؟ وهل فى القول بأن فى السماء نجوما لا عديد لها بعضها أكبر من الشمس وبعضها أصغر ، وأن هناك أنظمة أخرى وسدماً ومجرات وعوالم ، هل فى كل ذلك ما يعود علينا بالتقدم ؟ هذه بعض أسئلة الفريق الذى لا يؤمن بأهمية علم الفلك ومنافعه . ويسرنى ألا أكون من هذا الفريق وأننى أخالفه وأنأى أكون من الفريق الأول القائل بسمو علم الفلك وبأثره الفعال فى تطور نظر الانسان الى الكون وما يحويه من أعاجيب

وفى رأيى أن علم الفلك من العلوم الواجب تدريس مبادئها لطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات وجعله اجباريا ، حتى يخرج الطالب وقد جمع الى العلوم العملية والفنون النافعة علماً ومعلومات عامة هى أسمى أنواع المعلومات ، توسع أفق التفكير

وتنير العقل ، وتزيد فى الاعتقاد بقدرة الخالق وعظمته المبدعة .

وأرجو ألا يُساء فهم القصد من تدريس مبادىء علم الفلك لطلاب التعليم العالى ، فقد يُظن أنى أطلب تدريس الفلك على وجه مفصل حيث المعادلات العويصة والأرقام المخيفة والعمليات المرعبة . . . أنا لا أطلب هذا ، إذ لا يتيسر الوقوف على كل ذلك إلا لمن كانت له ميل الى الرياضيات ورغبة فى الطبيعيات وولع فى علم السموات . ولكن أقول إن علم الفلك برغم دقة بحوثه وما يحويه من عويص الموضوعات فيه كثير من البسائط سهلة التناول قريبة المأخذ تسهل الاحاطة بها وفهمها بدون تكلف أو صعوبة فنية . وهذه هى التى أدعو الى إدخالها فى مناهج التعليم العالى حتى يخرج الطالب ولديه فكرة عن هذا الفرع السامى مما يعود عليه بأجل الفوائد من الناحية الروحية والمعنوية فيرفعه إلى الى ما هو أسمى من عالمه وأعلى من محيطه المادى

ولعلم الفلك فوائد عدة جليلة أهمها أنه وسّع نظر الانسان وأفق تفكيره فى الكون ، وجعله يدرك بوضوح وجلاء أن الكون وما يحويه من أجرام تسير على أنظمة ثابتة لا تتغير وأن الظواهر الجوية والطبيعية لا تحدث عفواً واتفاقاً ، بل إنها سائرة حسب قوانين ونواميس لا فوضى فيها ولا شذوذ ، عرف الانسان بعضها ولا يزال يجاهد فى معرفة البعض الآخر ، وأصبح فى استطاعة الفلكى أن يتنبأ عن الخسوف والكسوف وغيرها من ظواهر الطبيعة قبل حدوثها ووقوعها بمئات السنين

لقد كان العلماء فى القرون الماضية يعتقدون أن أكثر ما يجرى فى هذا العالم هو من قبيل المصادفة وأن ليس هناك نظام شامل أو ناموس مسيطر ، ولكن بحوث علم الفلك أفسدت هذا الاعتقاد وأقامت الأدلة على بطلانه ، فثبت أن كل ما يجرى حولنا سائر على أنظمة خاصة وسنن ثابتة ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها ؛ فالنظام الذى تسير عليه الذرة بالكتروناتها ونواياها هو النظام بعينه الذى يسير بموجبه النظام الشمسى والنظم الأخرى بكواكبها ونجومها وشهبها ونيازكها ، وهذه الفائدة هى من أجلّ الفوائد التى جناها العالم من علم الفلك ، فكانت سبباً فى تقوية إيمانه بوجود قوة خارقة منظمة مبدعة عن طريق البحث والاستقصاء والتفكير العميق

وكيف لا يكون علم الفلك علماً مفيداً وقد حذر الانسان من الانخداع بالظواهر وعدم الاعتماد عليها فى كثير من الأحيان وعلمه كيف يعمل العقل والفكر فى اكتناه حقيقة هذه الظوا والوقوف على أسباب حدوثها . ألم يعتقد الانسان فى العص الأولى والمتوسطة بأن الأرض هى محور هذا الوجود ، وأن الشم وغيرها تدور حولها ، وأن كل شىء فى هذا الكون تابع للأرض فهى مركز دائرة هذا العالم والعنصر الأساسى فيه ؟ كان هذ الاعتقاد سائداً يدين به كثير من نوابغ العلماء وفحول ر الفكر ، وبقى الأمر على هذه الحال إلى أن تقدم علم الفلك فر بهذه الأوهام عرض الحائط وبيّن للناس أن الأرض ليس إلاّ ذرة تدور فى فضاء الله الواسع ، وأن الشمس وكواك وتوابعها ليست إلا جزءا يسيراجداً من هذا الكون الذى لا يـ مداه إلا العليم القدير . لقد بيّن لنا علم الفلك أن الانسان ج متوسط بين الكوكب والذرة ، وأنه يستطيع بفضل ذلك وبفض ما وهبه الله من قوى روحية ومعنوية أن يدرك حقيقة الأشـ الصغيرة من جهة والكبيرة من جهة أخرى ، واستطاع فو ذلك أن يعرف الشيء الكثير عن حركات النجوم وطبائ والعناصر التى تتكون منها ، وثبت له أن النجوم ليست إلا معا كيمياوية وبوادق هائلة ذات حرارة عظيمة جداً من الصع تصورها ؛ وقد يأتى يوم يستطيع فيه الفلكى أن يكشف أسرا مغلقة عن كيفية تفاعلات عناصرها بعضها مع بعض وسيجدون فى هذه الاكتشافات ما يعود على البشرية بخير عميم وما يدرينا لعلهم يستطيعون من دراسة النجوم وكشف غوامض أن يقفوا على سر الحياة وهو ما يصبو إلى الوصول إليه كب العلماء وعباقرة الفلاسفة ونوابغ المفكرين

والذى لا أشك فيه أن فى إدراك الانسان لبعض هذه الحقائ وفى وقوفه على النواميس والأنظمة السيرة لهذا الكون فى صغ محتوياته وكبارها لمن العوامل الرئيسية التى جعلته يسيطر ع كثير من عناصر الطبيعة وأفعالها ، ومن هنا نتجت فوائد ماد عجيبة لم تكن فى الحسبان ولا خطرت على قلب إنسان . وزياد على ذلك استطاع الفلكيون أن يصلوا إلى نتائج باهرة فى تاري الكون وعمره فثبت لهم أن الانسان لا يزال عند مبدأ حياة جنسه وأنه لا يزال عند فجر يقظته العقلية ، وأن تاريخه كله ليس إلا طرة عين إذا قيس بأعمار النجوم ، وأنه ليس فى استطاعته أن يتفه كل عجائب الأكوان وغرائب الوجود ، ولما يمض على ظهو عقله إلا دقة واحدة من دقات ساعة الفلك ، وأنه كلما تقد